أثر المنهج التاريخاني في الاستشراق الألماني هلموت ريتر أنموذجاً

إعداد : د.مبروكة معطى الله أستاذ مساعد :بقسم الفلسفة جامعة طرابلس -كلية الآداب

مقدمة :

يراد بلفظ الاستشراق معنيان : الأول البحث في تراث الشرق عامة، والثاني يُطلق على البحث في تراث الإسلام بشكل مباشر .وعادة ما يراد بالاستشراق الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي .والاستشراق ظاهرة ارتبطت بالعلاقات التاريخية الحضارية بين الشرق والغرب منذ كان الصدام بينهما إثر الفتوحات الإسلامية .فحينما انتشر الإسلام بسرعة أحس العالم المسيحي بالخطر، وحين فشلت الحروب الصليبية: ازداد الخوف من التيار الإسلامي، فبدأ التفكير في وقف ذلك التيار، والشروع في محاولات تشويه الإسلام والتشكيك فيه ،وإنطلاق عمليات التنصير .ومن هنا ارتبط الاستشراق في بداية تكونه بالكنيسة ، وبالحركة الصليبية عموماً، واعتبر المستشرقون الأوائل عملَهم نوعاً من الجهاد ضد الإسلام

ويتناول هذا البحث أحد أبرز أعلام المدرسة الألمانية وهو" هلموت ريتر "الذي ربطته صلة عميقة بالشرق بأدابه ،وفنونه،ولغاته. ويطرح هذا البحث عدة تساؤلات حول مدى موضوعية هذه المدرسة الاستشراقية؟ومالمنهج العلمي الذي أسهم في إنتاج روح الالتزام والموضوعيةالتي طبعت الاستشراق الألماني؟

أهداف البحث:دراسة جانب مشرق من الاستشراق،والتعريف به،وإبراز جهوده القيمة في دراسة الفكر الإسلامي.

أولاً :التعريف بالاستشراق ونبذة من تاريخ الحركة الاستشراقية.

الاستشراق لغة : مأخوذ من الاتجاه إلى الشرق،وكلمة الاستشراق مشتقة من)شرق(." يقال شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت[1]". وترمز إلى مجال الاهتمام بهذا الحيز المكاني من الكون وهو الشرق.

واصطلاحاً :اتجاه فكري يُعنى بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ، وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى.

نشأة الاستشراق الألماني وتطوره:

الاستشراق الألماني في القرن السَابع عشر:

يحدد بعض الباحثين نشأة الاستشراق بالفتح الإسلامي للأندلس في بداية القرن الثامن الميلادي؛ إذ شهدت جامعات إشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، إقبالاً كبيراً من الأوروبيين لدراسة الحضارة الإسلامية، وأن" بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها،وسلطانها،فتثقفوا في مدارسها،وترجموا القرآن الكريم، والكتب العربية،إلى لغاتهم،وتتلمذوا على يد علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات .[0]"

ومنهم من حدد بداية الاستشراق في أوروبا القرن العاشر الميلادي ، وأرجعوا ذلك إلى تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها، وتزايد الاهتمام بحركة الترجمة، وكان من أبرز من اهتم بهذا الاتجاه الراهب الفرنسي" سلفستر الثاني999)"م-1003م(الذي درس في الأندلس ثم تقلد منصب البابوية عام999 م، وأوصى بفتح المدارس وبترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية.[0]وبطرس المبجل1092)م-1156م (رئيس دير كلوني ،وجيرار دي كريمون1114) م1181-م [0].(بأول ترجمة للقرآن الكريم للغة اللاتينية في تلك الفترة.[0]

ومنهم من رأي أن نشأة الاستشراق في الغرب تعود إلى صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام1312)م (فقام رايموند لول1314) م1235-م(المولود في جزيرة ميورقة الاسبانية بأمر من الكنيسة بإنشاء كراسي للغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية،لدراسة الإسلام واللغة العربية[0]في جامعات" أكسفورد "و"كامبردج " و"بولونيا "و" روما "و"السوربون [0]"غير أن هذه الجهود لم تصب في ميدان الاستشراق الذى لم تتبلور أسسه ومفاهيمه بعد .وإنما كان أقرب للتبشير

والتنصير .بعد وصول الإسلام للأندلس وما وقع من جدل وحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، ومحاولات اليهود والنصارى للتشكيك في عقيدة المسلمين وفي معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن هذا الموقف في جوهره النابع من العداوة في العقيدة ليس بجديد، فهو موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم، وإثارة الشبهات حول الإسلام، وحول القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بوجه خاص: لتشكيك المسلمين في دينهم ومحاولة ردهم عنه.

وترسخ هذا الجدل بما كتبه" يوحنا الدمشقي ت749م -"في بداية القرن الثاني الهجري – من رسائل لمحاورة المسلمين ونصرة إخوانه من النصارى من خلال كتابيه" حياة محمد" "وحوار بين مسيحي ومسلم "بغية إرشادالنصاري أثناء جدالهم للمسلمين.

-ويحدد المستشرق الألماني" رودي بارت "القرن الثاني عشر الميلادي البداية الفعلية للاستشراق مع ظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم بتوصية من "بطرس "الملقب بالمحترم الذي زار الأندلس، وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية عام1143 م.وطالما نحن بصدد الحديث عن الاستشراق الألماني فيمكن اعتبار أن جهود مارتن لوثر1562)م (منذ ظهوره في مطلع القرن السابع تصب في دائرة الصراع بين الإسلام والمسيحية.

-وتعد الحروب الصليبية وهي الحملات العسكرية التي قامت بها أوروبا في بداية القرن الثالث عشر الميلادي نهاية العصور الوسطى ومن البدايات القوية لظهور حركة الاستشراق. وهي الجذور الأولى لاتصال المانيا بالعالم الإسلامي حينما شاركوا في رحلات الحج إلى الأراضي المقدسة"فلسطين."

-أما في القرنين الرابع والخامس عشر فقد انطلقت الدراسات الاستشراقية مع إنشاء أولى الجامعات في المانيا هذا التأخر في تأسيس الجامعات الألمانية مقارنة بفرنسا ،وانجلترا،جعل من واقع الدراسات الاستشراقية ملموسا في الجامعات الألمانية.

-ويبدو القرن السادس عشر متواضعا بالمقارنة بباقي الحقب التاريخية، فقد أخذت الدراسات في التطور شيئا فشيئا، حتى صارت حقلا مستقلا متأصلا في الجامعات، ومراكز البحوث الشرقية[0] .فبدأ جمع المخطوطات وتخصيص كراسي لدراسة اللغات العربية والسريانية وكافة اللغات السامية[0].

-أما القرن السابع عشر فيعد الاتصال الحقيقي بالشرق حيث أرسل الدوق فريدريش الثالث حملة قوامها أربعة وثلاثين رجلا إلى فارس وروسيا كي تتحالف مع امبراطور فارس ضد الأتراك .ودامت هذه الرحلة خمسة أعوام لم تجني خلالها مكاسب سياسية ، إلا أنها أثمرت تواصلا فكريا وثقافيا يمكن أن يعد البداية الحقيقة للتواصل مع تلك الشعوب.ومهد بدوره لتشكيل نواة للدراسات حول الشرق.ويمكن أن نذكر بعض المستشرقين في هذه المرحلة أمثال: جوهان هوتنغر)ت1667م (الذي قام بوضع فهرسا للمخطوطات الشرقية الذي نشره عام 1658)م(في هايدلبرغ[0].وفي هذا القرن أنشئت أول مطبعة للقرآن الكريم بحروف عربية.وكان المشرف على هذه الترجمات ابراهام هنكلمان في مدينة هامبورغ.

-القرن الثامن عشر :عرف القرن الثامن عشر تيارين فكريين هما تيار الرومانسية ويمثله الشاعر الألماني ليوهان ولفغانغ غوته1749)م1832-م(الذي التفت إلى أدب الشرق في سن السادسة والستين.وبخاصة إلى الأدبين الفارسي والعربي ولكن صلته الحقيقية بهذا المنهل الشرقي قديمة .تعودلأيام شبابه ودراسته الجامعية في ستراسبورغ على يد أستاذه الكبير، هردر، الذي وجه عنايته للشرق .وهكذا عكف غوته ، منذ ذلك العهد، على مطالعة القرآن،في ترجمته الألمانية واللاتينية، والتمعّن في آياته والتشبّع بمضامينه[0].وفي ديوانه الذي نظمه في آخر حياته" الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"، يبدو أثر القرآن جليّاً في صياغة هذا الديوان ومعانيه .وكان غوته مأخوذاً بحياة النبي، حتى إنه نظم مسرحية عن "محمد"، وشرع فيها منذ عام1773)م(، وخطّط لفصولها الخمسة، ولكنه لم يُنجز سوى الفصل الأول المعنون :مناجاة محمد .أما أشهر المستشرقين فكان

رايسكه1716)م1774-م(من أبرز المستشرقين في هذا القرن،اهتم بدراسة الشعر العربي ما قبل الإسلام ،واللغة العربية،وهي بدايات الدراسات الشرقية في المانيا.

كما شهد هذا القرن ظهور التاريخانية وهي منهج ذاع سيطه، وكثر أستخدامه في الأوساط الاستشراقية،ويعود له الفضل في تميز الدراسات الألمانية وتنوع موضوعاتها والتي سوف نتناولها بالتفصيل لاحقا.

-أماالقرن :التاسع عشر،فمن أشهرالمستشرقين فيه فلايشر1801) م1888-م (وايفالد)ت1875م(والاستشراق في هذا القرن امتاز بالتنوع.

-و القرن العشرون عصر الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية في المانيا،إذ ظهرت في هذا القرن الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات للمستشرقين.كماشهد بداية المؤتمرات الدولية ومن أشهر مستشرقي هذا القرن نولدكه1836)م1930-م(ويعد من أهم أعماله"أصل وتركيب سور القرآن الكريم" وهي رسالة نال من خلالها جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس عام1858) م (وترجمها للألمانية ونشرها بعنوان" تاريخ النص القرآني "كما له أعمال حول الشعر الجاهلي1864)م(،وقواعد اللهجات الآرامية1875)م [0](وكارلبروكلمان)ت1956م(الذي تمتاز أعماله أيضا بالعمق ،والشمول،والجدة، وبعدكتابه"تاريخ الادب العربي"بأجزائه الستة مرجعا أساسيا وهاما في كل مايتصل بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها [0]اللذين امتازا بغزارة الإنتاج في شتى حقول المعرفة الإسلامية.كما يعود لهم الفضل في نقل مستوى الدراسات الاستشراقية إلى مرحلة مهمة،ولعل أعمالهم تشهد على نشاطهم الذي طبع الاستشراق الألماني بطابع خاص، يدين له بالفضل كل من جاؤوا من بعدهم من التلاميذ والاتباع .

ويهدف هذاالبحث إلى الإجابة على المشكلة الأساسية :المتمثلة في مواقف المستشرقين الالمان من التّراث العربي الإسلامي؟وكيف نشأ الاستشراق الألماني

؟وماهي العوامل التي ساعدت في تبلوره وتطوّره؟ ومامدى إنصاف المستشرق هلموت ريتر للتراث العربي الإسلامي؟

خصائص الاستشراق الألماني:

- لم يكن الاستشراق الالماني ذا غايات سياسية،وأطماع استعمارية، خلافا للمدارس الاستشراقية الأخرى في باقي أوروبا.وهذا ما عبر عنه المستشرقون الألمان أنفسهم بارتياحهم الشديد إلى إهمال هتلر والنظام النازي لهم،وعدم استعماله لهم في حروبه[0].
- لم يكن الاستشراق الألماني وثيق الصلة بحركات التبشير والتنصير.
- غلبة الروح العلمية عليه ،وبمتاز ببعده عن التعصب والهوى.
- ضعف التنسيق بين المستشرقين الألمان وحكوماتهم، فأغلبهم كانت دراساته للشرق حرة وغير مدعومة أو موجهة من الحكومة، مما جعل معظمهم يمتهن مهن متواضعة،حتى ينفق على بحوثه من ماله الخاص.[0]
- ومنهم من غادر إلى بلدان أخرى طلبا للعلم، وهذاماعكس روح التحرر لديهم من قيود النظرة النمطية للإسلام فنظروا له بروح الاعتدال والموضوعية.

هذا ويمكن تصنيف مواقف المستشرقين الألمان من التراث الإسلامي من خلال مناهجهم وهم على أربعة طوائف حسب مقاصدهم:

-1الطائفةالأولى:قصدت التّعرف على أثر الفكر والتراث العربي والإسلامي على الحضارة الغربية

-2الطائفة الثانية :بحثت في مدى تأثير التراث الإسلامي في الحضارة الأوروبية.

_3الطائفة الثّالثة: فقد وقفت موقف العداء للتراث وأهله وحاربته محاربة علنية وسرّية،وعملت على تشويهه بشتى السبل.

-4الطائفة الرابعة :موقف الإنصاف إيمانا منها أن صناعة الفكر الحضاري مهمة تصنعها البشرية جمعاء[0].

وبعد هذا التصنيف لطوائف المستشرقين على عمومهم، ومن خلال المناهج التي اتبعوها في دراسة وتحقيق التراث الإسلامي،فلم يكتفوا بمنهج واحد،بل تنوعت المناهج كالمنهج التحليلي، والمنهج الاسقاطي،ومنهج التأثير والتأثر،ومنهج الشك التي أثر في دراساتهم، ومكنهم من بسط سلطانهم على التراث الإسلامي معللين من خلال تلك المناهج موقفهم من هذا التراث إنصافا أو إجحافا . فما موقف الاستشراق الألماني من التراث الإسلامي؟وبالتحديد المستشرق هلموت ريتر؟ وما المنهج الذي استخدمه ؟

تعريف بالمستشرق هلموت ريتر:

هلموت ريترمستشرق الماني1892) م1971-م (من أعلام القرن العشرين في الاستشراق أو مايعرف بالمستعربين الألمان،الذين اهتموا بالثقافة الإسلامية،درس في جامعة هاله الشهيرة على يد مستشرقين كبيرين هما:كارل بروكلمان1886)م-1956م (وبول كاله1875)م1964-م (ثم انتقل إلى جامعة ستراسبورغ،ودرس بها على يد مستشرقين أخرين هما: نولدكه1836)م1930_م(واينولتمان1875)م-1958م (نال في عام1914)م (شهادة الدكتوراه من جامعة بونو أثناء الحرب العالمية الأولى انضم للعسكرية وتنقل بين إسطنبول، العراق،وفلسطين وعمل مترجما للغة العربية والتركية آنذاك ،وهذا ساعده في جمع كثير من المعلومات عن هذه البيئات أثناء تواجده في تلك المنطقة .وقد أشرف على معهد الآثار الألماني في إسطنبول على مدى ثلاثين عاما ،كما أسس به المكتبة الإسلامية عام1918) م(، وبعد انتهاء الحرب في عام1919)م(عمل أستاذا للغات الشرقية في جامعة هامبورغ، كما أصدر مع بيكر مجلة" الإسلام" عام1920)م (، دجلة والفرات ،الفتوة،أذربيجان1924م(،وقام في هذه المرحلة بترجمة كتاب" كيمياء السعادة

"للغزالي"وفي عام1927)م (عاد لإسطنبول وبقي فيها مدة طويلة عمل خلالها أستاذا في جامعتها ،كما عمل كمدير لمعهد الاثار الألماني بها ،وعكف في هذه المرحلة أيضا على دراسةوتحقيق المخطوطات العربية التي تزخر بها المكتبات التركية،كما نشر تراث أعلام الصوفية"كالرومي"،"والمحاسبي"،"والسهروردبين الأربعة"،وفي عام1948)م(أسس مجلة الشرق،واختير عام1949)م (عميدا لكلية الآداب بجامعة فرانكفورت،حيث درس العديد من المستشرقين الألمان.انكب على دراسة الشاعر الصوفي فريد الدين العطار،ونشر في عام1949)م(كما نشر كتاب" أسرار البلاغة " لعبد القاهر البغدادي عام1954)م (الذي نقله فيما بعد للغة الألمانية ،ومن ضمن دراساته" البيروني "في مجلة الشرق1956م(،كما حقق ونشر في عام1959)م (كتاب"مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب" وفي عام1960)م (القي محاضرة في قونيا عن" جلال الدين الرومي"ماجعله يكتب عنه مقالا مطولا في "مجلة الشرق)"المجلد 15 لعام1962م (كما شارك في العام ذاته في ندوة عن الفيلسوف" الكندي"حينما دعي إلى بغداد للمشاركة في هذا الحدث العلمي.

حينمابلغ سن التقاعد عاد إلى إسطنبول :ليعمل على فهرسة المخطوطات في مكتباتها،.كما عاد للتدريس في جامعاتها . كما كانت له دراسة حول وهل للأرثوذكسية يد في الانحطاط في مجلة الاسلام1963م0ثم انتقل في أواخر الستينات إلى لبنان في" معهد الأبحاث الشرقية"عاكفا على دراسة لهجة طور عبدين التي يتكلمهاالیعاقبةالسريان باسم" لهجة طوري والتي توشك على الانقراض "وهي من منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت على أعوام متلاحقة1967)م1969-م1971-م(الذي خصص له مؤلف ضخم من ثلاثة أجزاء،.وفي1969)م(عاد ألى المانيا حيث ساءت حالته الصحية.وتوفي بها عام1971)م (وهو لا يقل عن نولدكه 0وبروكلمان 0شأنا ،لأنه يمتاز بتنوع نشاطاته وسعه علمه،.وتطرقه الى موضوعات إسلامية عديدة ، تتسم في أغلبها بالغزارة والتنوع،.كما أنها توثق الصلة بين ميادين الاستشراق بعضها ببعض.

اهتمام هلموت ريتر بالدراسات الإسلامية:

يعد المستشرق هلموت ريترمن أهم المتخصصين في دراسة الفكر الإسلامي وقام بعدة دراسات وأبحاث في هذا الجانب وقد نشر كتاب هاما في تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية"مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"لأبي حسن الأشعري في جزئين كبيرين بين عامي1920) م1930-م (نشرته المكتبة الإسلامية ، كما نشر كتاب"فرق الشيعة"للحسن بن موسى النوبختي1931)م (كما ركز أبحاثه ودراساته حول التصوف ونشر كتاب" بحر النفوس " يدور حول القضايا الفكرية التي شغلت الكثيرين منذ الأزل وهي الله العالم ،الإنسان في قصص فريد الدين العطار كما تناول بالدراسة الرومي والسهروردبين الأربعة وأبي يزيد البسطامي، كما نشر أجزاء "الوافي بالوفيات" للصفدي وهو من أهم كتب التراجم يضم أربع عشرة ألف ترجمة،وهذا مايبدو جليا واضحا من خلال تتبع أعماله التي بلغت ستة وعشرين مؤلفا،وأبحاثه تعد بالعشرات،ومساهماته في كتابة الموسوعات كالموسوعة الإسلامية ،ومجلةالإسلام،ومجلة الدراسات العربية،ومجلة الدراسات الشرقية ومجلة جمعية المستشرقين الألمان، وتدريسه في كبرى الجامعات ونشاطه موزع حول أغلب ميادين الفكر الإسلامي اللغة والنحواللهجات الآرامياتاريخ الأدب وتاريخ العلوم والمخطوطات والفلسفة والدين والتصوف والشعر والعادات الشعبية)خيال الظل(عند الاتراك الموسيقى.

إذًا ما هو مفهوم التاريخانية ؟ وما هو سياقها التاريخي والمعرفي؟ وما أثرها على الاستشراق الألماني؟ ومَن هم أهم روادها؟ وما هي أهم الانتقادات المُوجَّهة إلى هذه التاريخانيَّة ؟

التاريخانية : نظرية تعتبر أن التغيير الاجتماعي أو التطور التاريخي يخضع لقوانين التعاقب غير المشروطة التي تعطي التاريخ وجهة أو اتجاها ،وبمعنى أدق فالتاريخانية تتفق مع بعض النظريات التي تهدف لاخضاع التغيير الاجتماعي أما إلى

قوانين تطورية.وأما إلى قوانين دورية.وعلى وفق ذلك فإن القيم الثقافية تتغير تبعا لمفهوم الحقبة الطويلة من الجمود ،المتبوعة بحقبة قصيرة من الأزمة[0].عرفت أوروبا هذا المنهج،بعد ظهور عدة مدارس مختصة بدراسة التاريخ كمدرسة الحوليات الفرنسية ،التي صدرت عنها مجلة الحوليات الفرنسية التي أسسها كل من بلوخ ،وفافر عام1944)م(في فرنسا كان الهدف من أنشائها تجديد حقل التاريخ، وإثراء منهجه،بعد أن تم حصره بتأثير الفلسفة الوضعية[0] في حقول السياسة ،والدبلوماسية ،والعسكرية. واعتبار التاريخ مجرد وثائق لابد من جمعها واستخدامها ،ونقدها.فالتاريخ وفق هذه النظرة هومجرد وقائع في الماضي[0].فتختفي بصمة المؤرخ،إلى جانب ضياع بصمته اللغوية ،فيصبح مجرد ناقل للأحداث التاريخية ،وبقائه حبيس الأرشيف،وسقوطه في بؤر الشيفونية رغم إصراره على الموضوعية والحياد[0]وهذا ماجعل نشاط التاريخانيون يزداد ويتعاظم محاولة منهم لإصلاح مسارات التاريخ فذاع وانتشر استخدام المنهج المنهج التاريخاني في أوروبا ثم في المانيابشكل واسع، وشكل حيزا كبيرا في الدراسات فيها،و يمتاز بدراسة الظاهرة وتفتيتها إلى أدق تفاصيلها

ويهدف التاريخانيون إلى دراسة التاريخ دون القيود الدينية ،والقومية ،العنصرية ،والعاطفية التي تعيق المؤرخ من إصدار الحكم الصحيح حول الواقعة التاريخية أما أول من استخدم مصطلح التاريخانية إبتدعه (كارلفرنر 1896– 1846 (عام91879م(خلال توصيفه لفلسفة (فيكو) للتاريخ وتصوارته. وأن العقل البشري يدرك كلما يصنعهالإنسان وكلما هو مرئي لاسيما أن التداخل المعرفي والتاريخي ربط التاريخانية بمعطيات أيديولوجية متباينة ومتنوعة،في الاتجاهات والميول الفكرية.مع إنها كمحددات ذهنيةأطرت التمايزات المعرفيةبشكل يفوق تطلعها نحو التجديد الواقعي[0].

فالتاريخانية مفهوم تبلور بشكل كبير في الفلسفة الغربية الحديثة نهاية القرن التاسع عشرقرن التوسعات العلمية والحياتية والجمالية ،تقرأ كل شيءيقع في

التاريخ بمافي ذلك الحقيقة.وكان أشد إستخداماتها في المجالين السياسي والإيديولوجي ؛ لذا عدت التاريخانية إحدى المقولات التي ارتبطت بالتقدم ووصف الحضارة المادية فتتأكد دلالتهاالمادية ؛ لأنهاعلى ارتباط بالخصائص المادية للحضارة الحديثة .فتأتي مرادفة لمعنى الواقعية.التي تقابل الميثولوجي والمثالي الذي يصعب التحقق من صحته (إن التاريخانية عند المؤرخين المحترفين هي تلك الخاصية التي يتميز بها كلما هو تاريخي.أي ليس خياليا أووهما.والذي هومتحقق منه بمساعدة أدوات النقد التاريخي.[0]

والتاريخانية كمنهجية ذات رؤية وأفق مستقبلي تقوم عليها الحركة التاريخية: لأنهاتقوم على الحتميةالتاريخية التي تسير الأحداث البشرية والتي لهابعد إيماني بالرغم من علميتها.فهي نظرية تقرب وجود مسار للتاريخ إيماني أم إلحادي تقدمي أم رجعي.وهي بذلك لاتعد رؤية جديدة للمسار التاريخي.

فالتاريخانية تؤمن بتصوراتها اتجاه التاريخ والمستقبل. وكماأشار(بوبر) جنوح التاريخانية بالخلط مابين العلم واللاعلم.لأن (بوبر) ينكر على التاريخانية إمكانيتها في تبني الموقف العلمي.وقدوصف التاريخانية بوصولها لنتائج ضارة وخطيرة على العلم فصنف الفكر التاريخاني بشكل أتاح لها الكشف عن الطبيعة الكمية للتاريخانية ونبذ إدعاءاتها في تبني العلم وعلى الموضوعيةالعلمية. لأن سمة العلم جزئية وليست كمية.

المنهج التاريخاني عند المستشرقين الألمان:

من أثر استخدام المنهج التاريخاني لاستشراق الألمان التركيز الكبير على دراسة التراث الإسلامي دون إغفال أدق التفاصيل .وبهدف اتباعه إلى التخلص من كافة القيود الذي تكبل الباحث سواء كانت هذه القيود) دينية .وقومية .وعرقية. وعاطفية (التي تعيق المؤرخ في إصدار أحكامه حول الواقعة التاريخية. فهى رغم ذلك رؤية مادية جامدة.فهى تصطدم في كثير من الأحيان بالدين وخاصة الوحي[0]. فعارضه المستشرق) نرتز شبات (فيرى أن المذهب كلاسيكي.وبسبب صموده وثباته

جعل كل من جاؤوا بعده يرون أن المنهج التاريخاني وصل إلى درجة عالية من الجمود ،وذلك بسبب تعامله مع الظواهر المادية بمادية مفرطة ،واقصائه للاعتبارات الروحية والمعنوية من حساباته ،تغرق الحدث الديني في حيز التاريخ – الاخبار الاعتيادية فتفرض عليه زمانا غير زمانه ومحيطا غير محيطه ولايمكن أن نحشر ضمن التاريخ الاعتيادي خوارق الحلول والرؤيا ...التي تحررنا وتنقذنا في الواقع من قبضة الزمان ومن سجن التاريخ[0]" كما ذهب آخرون إلى أنه" :لابد من البحث حول الأبعاد الروحية قبل البحث عن القضايا والمسائل التاريخية[0] "

هذا ومن المعروف أن أنصار المذهب التاريخاني في أوروبا عارضوا المناهج الانتقائية ،وأحدثوا ثورة ضد توجهات كثير من الفلاسفة الذين كتبوا في التاريخ بسبب انتقائيتهم ولعل أبرز هؤلاء الفلاسفة فولتير [0]وذلك بسبب إصداره حكما مسبقا كمفكر ومصلح بهدم نظام أو استبداله بنظام آخر،لأنهم وجدوا أن من يقول بلاأخلاقية هذا النظام أو ذاك يقول ضمنا ويتبع ضرورة مبدأ" أن التاريخ متقطع وممزق، إذ يؤمن أنه يستطيع محوه بجرة قلم وبأغلبية صوت،ومضمون الله ،قيمتها في ذاتها عبارة رانكه " [0]كل حقبة من التاريخ هي في جوارالله ،قيمتها في ذاتها وليس في ماترتب عنها " وذلك في معرض تحذيره من تحميل الحادثة التاريخية أكثر مما تحتمل . يقول ": لانعرف كيف كان الماضي بالفعل حتى نحكم إذا كان المؤرخ قد وفق إلى تصويره تصويرا دقيقا[0]"

إن تقييد المنهج التاريخاني المفرط بالجانب المنهجي أدى به إلى رفض العديد من الكتابات التاريخية فهي بنظره سطحية تركز على المفاهيم ،وتقع في إطار فلسفات توصفها لأغراض الدعاية لوقائع الماضي ،لذلك ذهب أنصار التاريخانية أن هذه الكتابات منافية للفكر التاريخي المتقيد بإدراك خصوصية كل حقبة ،يقول رانكه وهو أحد أقطاب المذهب التاريخاني":أن عملي يرمي فقط إلى وصف حوادث الماضي كما حدثت فعلا[0]"

وفي منتصف القرن العشرين الميلادي تعرضت التاريخانية لنقد حاد من قبل كارل بوبر[0]بسبب محاولات التاريخانيين تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على علم الاجتماع لمعرفة مستقبل المجتمعات البشرية ورصد الثورات الاجتماعية قبل حدوثها. وبحسب بوبر فإن التنبؤ في الحوادث الاجتماعية لايمكن أن تجتمع أدواته لدى علم الاجتماع مثلما يحصل مع العلوم الطبيعية الأخرى كعلم الحياة، وعلم النفس .ويؤكد بوبر أن العلوم الاجتماعية إزاء تفاعل شامل معقد .ومن المحتمل أن يكون لوعينا بوجود الاتجاهات التي تسبب في المستقبل حادثا معينا .وإدراكنا أن التنبؤ قد يؤثر هو نفسه في الحوادث المتنبأ بها .فقد يكون من شأن هذه الآثار أن تخل بموضوعية التنبؤات وغيرها من نتائج البحث في العلوم الاجتماعية[0].

وبوبر لاينكر إمكانية تحديد الاتجاهات والميول الاجتماعية إلا أنه ليس بالإمكان وضع قوانين لها .كما في العلوم الطبيعية .فلا وجود لقوانين التطور .ومع ذلك اعتبر أصحاب المذهب التاريخاني أن قوانين التعاقب تعين سلسلة الحوادث التاريخية من حيث حدوثها في الواقع في محاولة تستعين على اكتشاف قانون التقدم بدراسة الوقائع التاريخية العامة وتحليلها وإذا ما اكتشفنا هذا القانون أصبح باستطاعتنا التنبؤ بالحوادث المستقبلية [0] لذا اعتبرت الحتمية[0]التاريخية والتي أدعت التاريخانية إمكانية التوصل إليها" لأن سلوك الإنسان لايفسر ولايمكن رده إلى مبادئ عامة أو قوانين تحكمه .وكل حدث فريد من نوعه .والمؤرخ قادر على فهم كثير من نوايا إنسان آخر في الماضي .رغم أنه يقرأ تلك النوايا في الحاضر الذي يعيشه .وليس هناك تاريخ يمكن أن يقول أنه كامل ونهائي لأن في كل عصر يطرح المؤرخون أسئلة جديدة على نفس الماضي[0].

أثر المنهج التاريخاني على هلموت ريتر:

والذي يهمنا في هذا البحث كيف تم توظيف المنهج التاريخاني في الدراسات الاستشراقية الألمانية وتحديدا عند هلموت ريتر ،وكيف تم توظيفه في دراسة القران الكريم ، والسنة الشريفة الموضوعات التاريخية المتصلة بالفكر الإسلامي،ومذاهبه الكلامية ،وكل مايتصل بالتاريخ الإسلامي .ومن المعروف أن المستشرقين الالمان اهتموا بكل ما يتعلق بالدراسات الإسلامية ،والفكر ،والأدب ،والعلوم، والمخطوطات ،وتوزعت جهودهم وفق هذه الموضوعات ،التي اشبعوها دراسة وبحثا ونقدا ،حتى لنجد أن بعضهم أفنى عمره في التركيز والاهتمام بهذة القضايا والموضوعات ،ولعل هذه من السمات البارزة في الاستشراق الألماني ،مما يجعله استشراقا ذا طابع موسوعي شديد التنوع وهذة سمة غالبة على كل المستشرقين الألمان.

_1 المنهج التاريخاني يمكن رصده من خلال دراساته عن الشرق والإسلام بكل جزئياته، إذ لم يغفل أدق التفاصيل، فدرس الآثار الإسلامية الهام منها والأقل الأهمية،وحتى ما اتصل بالمسرح"خيال الظلال جانب المقالات والرسائل والبحوث الرصينة حول الفلسفة ،والتصوف،واللغة ،مساهما بذلك في إلقاء الضوء على تاريخ هذا الجانب الفكري للاسلام، وعمل بذلك على تسهيل نقلها من الشرق وصولا إلى الغرب[0].

-2من خلال التزامه بالمنهج التاريخاني الذي يفرض على الباحث الإحاطة بكل ما يتصل بموضوع بحثه من تفاصيل وجزئيات لكي يصل في نهاية المطاف إلى نتائج دقيقة.

-3وفقا للحقيقة المطلقة كحركة وضرورة ،فالمؤرخ وفق هذا المنهج عندما يصف حدثا ما، أو يريد أن يعطيه قيمة يلزمه حتما أن لا يعيره ذات الأهمية مسبقا ،وإنما يفترض أن قيمته تظهر تدريجيا وشيئا فشيئا ،وعملا بعد عمل،وحكما بعد حكم،وكل حكم في التاريخ قابل للاستئناف للسبب نفسه[0].

-4وفق هذا المنهج لابد أن يطرح المستشرق عدة تساؤلات على الوثيقة التاريخية ويستنتج منها حقائق مختلفة عن الحقائق التي توصل إليها مؤرخون سابقون ،وهذا في نظرهم لايعد إخفاقا ،بل ربما هذا مرده إلى أن الأسئلة التي طرحها المؤرخون الآخرون لم تع حقيقة هذا الدليل التاريخي وظروفه المحيطه. وهذا مايميز المستشرقين الألمان الذين أشبعوا الموضوعات دراسة ،وعكفوا على دراستها سنوات طويلة

-5فالتاريخانية لاتعرف الفتور في مجال البحث عن الحقائق التاريخية،وعلى الرغم من الانتقادات التي تعرضت لها والرفض الذى لاقته إلا أنها مع ذلك قدمت الكثير من الدعم لمناهج البحث التاريخي، وغيرت مسارات البحث والنتائج والاحكام

خاتمة

نصل في ختام هذا البحث إلى نتائج استخدام المنهج التاريخاني في الاستشراق الألماني عند هلموت ريتر وهي:-

-أن الاستشراق الألماني من أكثر المدارس الاستشراقية إنصافاً، وذلك للنزاهة التي يتمتع بها الكثير من المستشرقين في نظرتهم للتراث الإسلامي.

-لعل من أبرز جهوده التي تصب في خدمة التراث الإسلامي غزارة مؤلفاته وتنوع موضوعاتها ،وتشعب قضاياها دون الاخلال بوحدة وتماسك هذا التراث.

-إسهامه في إنتاج الدوريات، والموسوعات، والمؤتمرات العلمية، والجمعيات الشرقية، التي كرست جهدها لدراسة التراث العربي الإسلامي.

-استطاع إظهار الفكر الإسلامي بصورة مشرفة، وذلك من خلال تكريسه سنوات طويلة من عمره باحثا ومنقبا في شتى ميادين الفكر الإسلامي، من لغة، وفلسفة، وتصوف، وشعر، ومسرح، وقصص خيالي، محاولا رصد معالم هدا الفكر من خلال الشخصيات التي تناولها في الدراسة والبحث.

-لم يتبث عنه أي موقف عدائي، أو تعصب، أو تشكيك في هذا التراث، بل عمل على تحقيقه وإخراجه بكل موضوعية.

-كانت أعماله ردا على كل المشككين الذين حاولوا الإنقاص من أصالة الفكر الإسلامي.

-تصب جهوده في باب التعريف بالفكر الإسلامي للغرب عن طريق منهج علمي متماسك بهدف للبحث عن الحقيقة.

-يعد التراث الذي خلفه من أغنى وأبرز ما خلفه عالم،فقد شملت أعماله التراث العربي ،التركي،والفارسي،الكردي،والآرامي.

-أسهم إسهاماً كبيرا في نقل التراث الإسلامي إلى الغرب في أبهى صوره.

-كان باحثا عن الحقيقة ،لاتشغله تقلبات السياسة، ولم يؤثر فيه ماحدث في ألمانيا أثر وصول النازية للحكم،بل ظل وفيا للعلم والمعرفة.

المراجع والمصادر:

- بدوي، عبد الرحمن :**موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993م.
- عبدالرحمن، طه :**الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري**، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005 م.
- عبدالسلام، احمد حسن:**تاريخ الإستشراق الألماني**، ضمن مجلة الفكر العربي، ع 31.السنة5 ،1983 م.
- العروي،عبدالله:**العرب والفكر التاريخي**، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006م.
- العقيقي، نجيب :المستشرقون **موسوعة في تراث العرب** مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام وحتى اليوم، ط5 ،) دار المعارف، القاهرة،2006 م.
- العطية، جليل:**منهج المستشرقين في كتابة التاريخ**، مجلة المعهد، العدد1 ، السنة1 ، معهد الدراسات العربية والإسلامية، لندن،1999 م.

- الديب ،عبد العظيم :**المنهج عند المستشرقين**، ضمن حوليات كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ع7، الدوحة،1409هـ.
- فوزي، فاروق عمر:**الاستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى** دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوربية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان،1998 م.
- مقبول، إدريس :**الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية**، ورقة قدمت للندوة الدولية التي نظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت شعار القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية بالمدينة المنورة،2006 م.
- المنجد، صلاح الدين:**المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية**، ط1،)دار الكتاب الجديد، بيروت،1978 م(، ج.1
- نادر، البير نصري:**اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الإسلامي القديم**، سلسلة كتب الثقافة المقارنة،) الاستشراق(، العدد1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987م.
- النعيم ،عبد الله محمد الأمين :**الاستشراق في السيرة النبوية**، سلسلة الرسائل الجامعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1،1997 م
- النملة، علي بن إبراهيم:**مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين**: استقراء للمواقف، مكتبة الملك فهد، الرياض1993 م.